

تعريف الثقافة وقوانينها وخصائصها

أولاً- تعريف الثقافة:

عرفها العالم الأنثروبولوجي أ . ي. تايلور في كتابه الثقافة البدائية:
إن الثقافة هي ذلك الكل الذي يشتمل المعرفة والعقائد والفن والقانون وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في الجماعة أو المجتمع.

ب- لينتون: شكل متكامل من السلوك المكتسب ينقلها أفراد مجتمع معين.

ج- أما الدكتور أنور عبد المالك قال بشأن تعريفها ما يلي: قل لي ما هي ثقافة الانسان أقول لك على الفور ماهي شخصيته.

- نلاحظ من هذا التعريف أن الثقافة تتكون من جانبين :

1- الجانب المادي الذي يتمثل في الصناعة ووسائل الإنتاج والاختراع وكل وسائل العيش والحياة.

2- الجانب السلوكي وفيه الجوانب الظاهرة مثل العادات والتقاليد والجوانب المستترة أو اللاواعية.

إن العلاقة بين الثقافة والانسان هي التي تحدد السلوك الانساني فكل عنصر ثقافي في حقيقته استجابة لحالة ما وتعتبر لمدارس الانثروبولوجيا أن هذا الاختلاف هو المحدد الاساسي في اختلاف الشخصيات القومية .

مثال: الزواج عنصر ثقافي وهو أيضا يمثل حاجة ما لكن هذه الاستجابة تختلف من مجتمع لآخر.

ثانياً- قوانين الثقافة:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل

2- قانون الانتشار الثقافي

3- قانون التخلي والاكْتساب

وفيما يلي شرح لكل قانون من القوانين أعلاه:

1- قانون انتقال الثقافة من الماضي إلى الحاضر إلى

المستقبل:

الثقافة: مجموعة من العناصر المادية والاجتماعية المشتركة بين الفرد وأسرته وجماعته ومجتمعه، والأجيال تقوم بنقل الثقافة بواسطة التعليم والتجربة والاكْتساب وعن طريق التراث الشفهي والمكتوب.

فالثقافة موجودة في سلوك الناس الاجتماعي، وتنتقل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل بواسطة الأجيال، أي من الآباء للأبناء، ومن الأخوة الكبار إلى الصغار، وذلك عبر التعلم والتجربة والاكْتساب.

وهذا يعني أن هذا الانتقال يشكل قانونها الأساسي، ولولاه لما كان ثمة وحدة أو تشابه أو تماثل في الشخصية الاجتماعية للمجتمع سواء في الماضي أم في الحاضر. ولكن هناك أشكال من الانقطاع بين هذه الشخصيات تفقد فيها بعض علاقات القربى وعناصر من التراث المشترك...إلخ.

والجدير بالذكر أن الثقافة لا تنتقل على وتيرة واحدة، ومثال على ذلك: موضة اللباس وبعض آداب الضيافة والأكل والشرب والسهر...إلخ. لأن الثقافة كما يقول (رالف لنتون): ذات سياق متواصل، وأن المشاركة التي تبرر إدخال عنصر ما في شكل ثقافي متكامل تقرر بالنسبة إلى السياق الاجتماعي الثقافي المتواصل وليس بالنسبة إلى ما تكون عليه تلك الثقافة في وقت معين.

2- قانون الانتشار الثقافي:

إذا كانت الثقافة تحتل جانباً مهماً في قيام البناء الاجتماعي بمهامه، فإنها من أكثر الجوانب أهمية في استمرار المجتمعات وتطورها من طور إلى آخر.

وهذه العلاقة الجدلية بين المجتمع وثقافته هي التي تشكل شرط تطور الثقافة وتغير وظائفها وتبدلها، وهي المسؤولة أيضاً عن انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، فالثقافة تتطور بالانتشار داخل البنى الاجتماعية، ومن بيئة اجتماعية داخلية إلى بنية اجتماعية في مجتمع آخر. وتأتي خاصية انتشار الثقافة من خلال طبيعة الإنسان الاجتماعية، وعن طريق حركة الثقافة يحصل الاحتكاك والتعلم والاكتساب، فالأديب الناشئ يحاكي الأديب الذي يتميز بأسلوب معين في الكتابة ويحاول أن يقلده...إلخ.

مما تقدم يتبين أن العناصر الثقافية في حالة انتقال وانتشار واستقرار وتبادل. وانتشار الثقافة يتم إما بشكل عفوي أو إرادي داخلي وخارجي. وثمة جهات تخطط لنشر ثقافتها في المجتمعات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالغزو الثقافي. والجدير بالذكر أن حركة الثقافة تختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. فإذا كانت الثقافة في المجتمعات الأقل تطوراً تمتاز بحركتها البطيئة وفق آليات محددة بسيطة وغير معقدة، فإن حركتها في المجتمعات الصناعية أكثر سرعة وحيوية، ولها آليات متنوعة بالغة التعقيد.

كما أن الثقافة في المجتمعات المتقدمة تخضع للتخطيط والضبط والتوجيه الذي يكفل لها القيام بمهامها التي يرمى إليها أصحاب القرار السياسي. وهذا يعني إجرائياً أن هناك ثقافات ((ملقية)) وثقافات ((متلقية))، والثقافة الأولى موجودة في المجتمعات الصناعية، أما الثانية فإنها من شأن المجتمعات الأقل نمواً، ومنها الدول العربية.

وقد يرتب على هذا التمايز أن المجتمعات الصناعية تملك الكثير من بنوك المعلومات ومن مخابر الثقافة، وهذه وتلك مربوطة بأجهزة المعلومات

والقنوات الفضائية. وقد وضعت هذه الآليات في خدمة الثقافة لنشرها هنا وهناك، واختراق العمليات الثقافية في المجتمعات الأخرى، ومنها النامية. فالعديد من الشخصيات القومية أصبحت تتصرف في جوانب من سلوكها اليومي على الطريقة الأوروبي-أمريكية (الأوربية الأمريكية)، تطرب على طريقتهم وتلبس حسب أزيائهم وتركب وسائل المواصلات حسب إنتاج ثقافتهم. وكم من قيمة أو وازع أو عادة وتقليد انتشرت من الثقافة الغربية إلى داخل الثقافة العربية، سواء كان الانتشار عفويًا أو مقصوداً، إذ أصبح من النادر أن تجد مجتمعاً من المجتمعات بعيداً عن تأثير الثقافة الغربية. بمعنى آخر: أصبحنا في عصر الاختراق الثقافي الغربي.

خلاصة القول: شهدنا مؤخراً صعود دور مراكز الأبحاث والدراسات التي تقود وتوجه انتشار الثقافات الأوروبي-أمريكية، الهادفة إلى تطويع شخصيات الشعوب في العالم الثالث لصالحها.

وبهذا الصدد كتب الشاعر البريطاني الأصل (ت. س. أليوت)... وكثيراً ما تتخذ القوة وسيلة لفرض ثقافة أجنبية على ثقافة أدنى، وهذه المشكلة لا يمكن حلها وهي تتخذ أشكالاً كثيرة. فثمة مشكلة تتصل بثقافة أدنى للمرة الأولى، وثمة مشكلة ثانية عندما تكون الثقافة الوطنية قد بدأت تتحلل فعلاً تحت تأثير الثقافة الأجنبية، وحيث يكون أبناء الوطن قد تشربوا من الثقافة الأجنبية فعلاً أكثر مما يمكنهم طرده في وقت من الأوقات لينضجوا في الخليط الثقافي الذي أوجدناه.

وبطبيعة الحال فإن الخليط إياه تتعدد مواده وتتنوع عناصره إلى حد يمكن السياسات الثقافية الغربية من احتواء شعوب العالم والهيمنة على تفكيرها.

3- قانون التخلي والاكْتساب: تميزت الثقافات قديماً وحديثاً

بعمليات التخلي والاكْتساب، وكانت هذه العمليات محكومة دائماً وأبداً

بالظروف الحضارية لكل أمة. فكلما أحرزت الأمة تقدماً واستقلالاً حضارياً، تمكنت من القيام بعمليات التخلي والاكْتساب وفق نواحيها الداخلية وحسب حاجاتها وقدراتها. ويقترن عمق تلك العمليات بمستوى التحولات الاجتماعية التي تتم داخل البناء الاجتماعي. فكلما كانت التحولات متوازنة داخل البناء الاجتماعي بحيث تتم وفق حاجات المجتمع وتتوافق مع إمكانياته، كانت عمليات التخلي والاكْتساب متلائمة مع معطياتها الاجتماعية، متوازنة مع الأبعاد الاجتماعية والحضارية التي تذهب إليها التحولات الاجتماعية.

فإذا وصل المجتمع على سبيل المثال إلى مستوى من التطور يملي إلغاء بعض أشكال الملكية وإضافة أشكال جديدة، فإن الثقافة ستعمل على ابتكار عناصر ثقافية جديدة تواكب الملكية الجديدة وتتوافق معها. وهذه الإضافات الثقافية لا تقتصر على عنصر الملكية فقط بل تمتد إلى عناصر ثقافية كثيرة منها المادية والمعنوية ومنها الأخلاقي بشكل يتجانس فيه الإلغاء والاكْتساب مع تطور الأفكار ودرجة الوعي الاجتماعي الذي وصل إليه المجتمع ومع منظومة الأفكار التي تشكل فلسفة الثقافة.

ولابد من التأكيد على أن عملية الاتصال الثقافي لها تأثيرها المباشر على عمليات التخلي والاكْتساب، فعندما يتم الاتصال بين ثقافة تعتمد على طباعة الكتب على آلات الكترونية كوسائل للطباعة أكثر تطوراً من الآلات السابقة، وتقوم بإنتاج أعداد من النسخ لا توازيها فيها الوسائل القديمة المعتمدة في الطباعة التي تملكها أو تستخدمها ثقافة أخرى، فإن الثقافة التي لا تملك الآلة الجديدة سوف تلجأ تدريجياً إلى التخلي عن الآلات القديمة واكتساب الآلة الجديدة.

ولاشك هذا المثال يمكن جعله نموذجاً لعمليات ثقافية متباينة في مضمونها وكما يمكن تعميمه على العناصر الثقافية الأخرى مثل: الزي، وطرائق كتابة القصة، ووجبات الطعام، ووسائل الركوب، والترفيه...إلخ.

على هذا الأساس تقوم الثقافات بعمليات التخلي والاكتساب دون توقف، وهذه العمليات تشكل بالنسبة لثقافات العالم قانونها الذي يحكم الثقافة ويقودها.

وقد اعتبر العلم الأنثروبولوجي أن تجديد الثقافة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات التخلي والاكتساب. كما أن تقويم الثقافة من حيث اعتبارها ثقافة غازية أو مغزوة، حيوية أو تقليدية يتم على أساس قدرة تلك العمليات في المحافظة على الهوية القومية وتطوير معالمها حسب حاجات العصر وتحدياته.

لكن لا بد من الانتباه إلى أن الثقافات لا تتماثل أو تتشابه في عمليات التخلي والاكتساب، فالأمر يختلف من ثقافة إلى أخرى، وهناك ثقافات لها قدرة خاصة على التخلي والاكتساب لا تملكها ثقافات أخرى، هذا يعني أن عمليات الثقافة مرهونة بقدرات الثقافة المتعددة المستويات.

وتقسم الثقافات حسب القدرات إلى مستويين :

1- الثقافات الديناميكية: تتميز هذه الثقافات بقدرتها على الحركة والإبداع، ويحتل فيها الإنسان مكانة مرموقة منظمة ومحفوظة بجملة من القوانين والسنن التي لا تقبل أي تعد على حقوقه، وبالمقابل تلزمه بسلسلة من الواجبات التي يؤديها بكل طوعية. كما تتميز تلك الثقافات بقدرتها على توفير الردود وإشباع الحاجيات بشكل لا يقلق الإنسان ولا يدعه ملكاً للضرورات الطبيعية. كما تتوفر فيها التعددية السياسية والحريات الفكرية وحرية القول والعمل، كما تتميز بإمكاناتها في الاختراع والابتكار والإبداع.

2- الثقافات التقليدية: وهي الثقافات التي يتحكم فيها الجمود والتقليد وانعدام الحرية، حيث مكانة الإنسان منقوصة ومحفوظة بالمخاطر، كما يضعف فيها القانون وتكافؤ الفرص ويسيطر عليها نظام القيم

التقليدي المتخلف الذي لا يساير روح العصر. كما أنها تفتقر إلى القدرة على تلبية حاجات الناس المادية والفكرية والروحية، وتقل فيها فرص العمل كما تقل فيها فرص القدرة على الابتكار والاختراع والاجتهاد والتأويل.

وتشتهر تلك الثقافات بقدرتها على التلفيق والجمع العشوائي بين القديم والحديث مثل الجمع بين الثأر ودور الدولة في محاسبة المتهم أو الجاني، بين الحرية السياسية والاعتقال، بين حقوق المواطن وتعديات السلطة على هذه الحقوق، بين حرية القول والنشر وقانون الرقابة والمنع والمصادرة والاعتقال.

نخلص مما سبق: إن عمليات التخلي والاكْتساب في الثقافتين الديناميكية والتقليدية مختلفة في النوع والكيف ومختلفة في المستوى والأبعاد، بحيث نرى أن الثقافتين تنتج عمليات التخلي والاكْتساب بناءً على سننها وقوانينها الاجتماعية بالتلازم مع قوانين الثقافة.

بينما تخضع تلك العمليات في الثقافات التقليدية إلى تأثير الثقافات الديناميكية، حيث تتدخل هذه الأخيرة في قانون التخلي والاكْتساب وتعديل مساره في ترك هذا العنصر واكتساب عنصر آخر يتوافق مع مصالحها. وتصبح عمليات التخلي والاكْتساب من صنع القافة الديناميكية لأنها تظل في حالة غزو دائم للثقافات التقليدية.

وأخيراً فإن عمليات التخلي والاكْتساب تتأثر بقانون الانتشار الثقافي الذي يتم بناءً على أسلوبين، هما:

1- الأسلوب العفوي الاختياري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية عن طريق الاحتكاك والاتصال والحوار الثقافي.

2- الأسلوب الإجباري: الذي يؤدي إلى انتقال العناصر الثقافية إما بسبب الحاجة أو بالضغط والإكراه القسري.

ثالثاً- خصائص الثقافة:

لكل مجتمع بشري ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوي بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما تشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية.

وبرغم التباين الضخم بين ثقافات الإنسان سواء كانت بدائية أو قروية أو تجارية أو صناعية فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات. وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص:

1- الثقافة إنسانية: الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً خاصاً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة، ويتميز ذلك الجهاز العصبي كذلك بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشري من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية، فمثلاً انتقل الإنسان العقل من المناطق الدافئة إلى مناطق باردة جداً وتكيف معها عن طريق اختراع الملابس المصنوعة من الصوف والفراء وكذلك عن طريق اختراع بناء المسكن في داخل الثلوج واستخدام شحوم الحيوانات للتدفئة.

والثقافة هي عبارة عن أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه وبغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها في سبيل إشباع حاجات الإنسان والتكيف مع البيئة.

مثال على ذلك: عند انتقال الإنسان من مناطق دافئة إلى مناطق باردة فهو يقوم بالتكيف مع هذه البيئة من خلال اللباس والمسكن.

2- الثقافة مكتسبة:

عن طريق التعلم أو التجربة أو التراث الشفهي أو عن طريق الخبرة الشخصية.

مثال: عند وضع طفل من أصل أجنبي في بلد عربي فإنه يتكلم اللغة العربية.

3- الثقافة أفكار وأعمال:

النظم العائلية والعادات والتقاليد إذا حللنا تلك العلاقات الاجتماعية نجد أنها ترجع في النهاية إلى تصرفات إنسانية أي إلى أفكار وأعمال وذلك في سبيل الحاجات الإنسانية أو البشرية.

4- الثقافة كل أو نسيج متداخل:

تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات، ولا يستطيع أصحاب الثقافة الكشف عن هذا التداخل والتساند بين أجزاء الثقافة، وإنما يكشف ذلك التداخل الأنثروبولوجي بعد فترة من التدريب الميداني تلى دراسته الجامعية، ويفضل الأنثروبولوجيون دراسة ثقافة مجتمع لا ينتمون إليه، وذلك لصعوبة تحقيق النظرة الكلية الموضوعية اللازمة لدراسة الثقافة إذا كان الأنثروبولوجي يدرس ثقافته.

الثقافة مجموعة من العناصر والنظم مرتبطة مع بعضها البعض كل منها يؤثر في الآخر .

مثال: عنصر الدين أحد عناصر الثقافة يؤثر بالعناصر الأخرى مثل النظم العائلية- حياة العرب الاقتصادية من عادات المأكل والملبس.

5- الثقافة اجتماعية:

من صنع المجتمع وليس من صنع الأفراد وتختلف النظم الثقافية في مدى شمولها أي أنه يمكن أن تطبق على جميع أفراد المجتمع أو على جماعة معينة داخل المجتمع.

❧ ويمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدى شمولها إلى ثلاثة أنواع:

(أ) **العموميات:** وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع، ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات البدائية خاصة ونظام الضبط الاجتماعي.

(ب) **البدائل:** وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين ولل فرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي، ومن أمثلة ذلك بعض نظم الزواج في الثقافة الإسلامية فالمسلم يستطيع أن يتزوج بنت عمه أو بنت عمته أو بنت خاله أو بنت خالته أو من غير قريباته وحتى يستطيع أن يتزوج فتاة لا تدين بالإسلام وإنما المسيحية أو اليهودية. وعلى الرغم من وجود هذه الحرية إلا أنه يوجد قيود مثل حق المسلم في الزواج أنه لا يستطيع أن يتزوج من فتاة وثنية مثلاً.

(ج) **الخصوصيات:** يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية في داخله، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها.

مثال ذلك:

جماعة الأطباء تستخدم المصطلحات الأجنبية بينما جماعة العمال لا تستخدم هذه المصطلحات في أحاديثها.

6- الثقافة متنوعة المضمون:

تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة في معظم الأحيان، وقد يصل هذا الاختلاف إلى درجة التناقض في بعض الأحيان. مثال ذلك: العلاقات الجنسية تتيحها بعض المجتمعات قبل الزواج ومجتمعات أخرى بعد الزواج.

7- الثقافة متشابهة الشكل: تبين الأمثلة السابقة أن الثقافات متنوعة ومختلفة في مضمون وفحوى نظمها، ولكن إذا نظرنا إلى الإطار الخارجي أو الشكلي لتلك النظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات.

مثال ذلك: الزواج يختلف من مجتمع لآخر حتى ضمن المجتمع الواحد يوجد اختلاف لكن على الرغم من الاختلاف يوجد تشابه في الشكل ولإطار الخارجي حيث يتفق في بعض المفاهيم (زفاف- خطبة).

8- الثقافة متغيرة ومتصلة: تتغير ثقافات المجتمعات من وقت إلى آخر، هذا التغير يكون بمعدلات، فقد يسير التغير ببطء مثل المجتمعات البدائية، وهناك المجتمعات الصناعية التي تتغير بسرعة كبيرة وذلك لتوافر الحوافز للاختراع ولقوة التفاعل الاجتماعي.

ويوجد نوع ثالث من الثقافات التي تتغير بمعدل معتدل ويضح ذلك في الثقافات الزراعية في أفريقيا وآسيا وأوروبا. والثقافة في غيرها لا تقفز في حلقات منفصلة الأجزاء وإنما يتم هذا التغير في التراث الثقافي المتصل الأجزاء، لا يتم الجزء دون الآخر لأن الثقافة كل نسيج متداخل، تموت الثقافة وتنتهي بشكل تام بموت أو انقراض المجتمع إما عن طريق الغزو بأن يغزو مجتمع آخر ذو ثقافة جديدة ويفرض الثقافة الجديدة بالقوة وتموت الثقافة الواحدة.

الاتجاهات البحثية (المناهج) في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

منهج البحث: هو الطريقة العلمية المنظمة التي يعتمدها الباحث عند دراسته لظاهرة أو موضوع ما، وهي التي تساعد الباحث لاحقاً في الوصول إلى تعميمات نظرية وقوانين عن الظاهرة المدروسة. ولا يمكن

لأي دراسة علمية أن تقوم دون وجود منهج يحدد مسارها ويظهر تساؤلاتها وفروضها، وطرق التحقق من صحة هذه الفروض والإجابة على التساؤلات.

وبذلك يعد منهج البحث الركيزة أو العمود الفقري في أي دراسة علمية. وقد كانت البدايات الأولى لدراسة الثقافات الإنسانية على يد الأنثروبولوجيين وذلك عند دراستهم للمجتمعات البدائية وما قبل الكتابية، حيث تم التركيز على هذه المجتمعات من خلال دراسات شمولية للأنظمة الاجتماعية. وقد تم تطوير مناهج بحثية ارتبطت بالأنثروبولوجيين، كما تم ابتكار أدوات منهجية استطاع من خلالها الباحثين تحليل الثقافة الإنسانية وعناصرها ومحتواها في المجتمعات، حيث كشفت العديد من هذه الدراسات على جوانب دقيقة من حياة الأفراد داخل المجتمع المدروس.

إذاً بدايات الأنثروبولوجيا انطلقت بكونها علم بالتركيز على المجتمعات البدائية والبسيطة والقبلية، وخرجت لاحقاً من هذا الإطار وقامت بالتركيز على دراسة المجتمعات الحديثة والصناعية المتطورة، وأخذت اتجاهاً نظرياً ونهجاً متسعاً ومختلفاً، فلم تعد تهتم فقط بدراسة الثقافات البدائية، بل اتجهت نحو المدنية والمجتمع المعقد وذلك لأسباب متعددة:

قد يكون أولها أن العديد من هذه المجتمعات البسيطة قد اندمجت مع المدينة في كثير من حالاتها، إضافة إلى أن المجتمعات البدائية قد أشبعت دراسة، حيث لم يكن هناك أياً من هذه المجتمعات لم تقوم الأنثروبولوجيا بدراسته، وبالتالي اتجهت الأنثروبولوجيا إلى دراسة المجتمعات الحديثة والمتقدمة والمعقدة.

إن هذا الاتجاه الحديث في دراسة المجتمعات المعاصرة جعل من الأنثروبولوجيا أيضاً تستخدم وسائل وأدوات منهجية مختلفة. فقد طورت

الأنثروبولوجيا من مناهجها البحثية واعتمدت على طرق وأدوات منهجية بحثية من تخصصات أخرى وذلك بحكم كونها أكثر التخصصات شمولية في دراسة الإنسان، وكذلك من أكثرها صلة بالعلوم الأخرى. وقد طورت الأنثروبولوجيا أيضاً أساليبها البحثية بما يتوافق مع تخصصاتها المختلفة والتي تميز كل فرع من فروعها بأطر وأساليب منهجية محددة. فالأنثروبولوجيا كبقية العلوم الأخرى تتميز بمناهج بحث خاصة فيها، وتتعدد هذه المناهج وتختلف أنواعها بسبب تعدد فروع الدراسات الأنثروبولوجية.

فالأنثروبولوجيا تحتوي على دراسة التطور البيولوجي والفيزيقي من ناحية، وعلى دراسة تطور الجوانب المادية وغير المادية للثقافة الإنسانية من ناحية أخرى. وكذلك تركز في جانب آخر على الثقافة الإنسانية في محيطها الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى بروز العديد من مناهج البحث الأنثروبولوجية.

← **وسيتم التركيز في هذه المحاضرة على الاتجاهات البحثية في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية فقط، والتي يتمثل أبرزها في الآتي:**
أولاً - الاتجاه المقارن؛

وهو الاتجاه الذي يتطلب إجراء مقارنات بين مجتمعات عديدة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في درجة ونوعية الثقافة والبناء الاجتماعي. **بمعنى آخر:** مقارنة الثقافات والمجتمعات الإنسانية المختلفة وما يحمله كل من هذه المجتمعات أو الثقافات من سمات أو أوجه تشابه أو اختلاف. فيحاول الأنثروبولوجي من خلال هذا الاتجاه البحثي الكشف عن سمات التشابه والاختلاف بين المجتمعات من خلال مقارنتها بهدف رسم استنتاج عام بخصوص المجتمع وما يحتويه من ثقافات متعددة.

ولقد أكد كل من الأنثروبولوجي الأمريكي (هويل) والأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) على ضرورة الأخذ بالمنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية، لأنه المنهج الذي يميز علم الأنثروبولوجيا عن بقية العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

وقد بدأ استخدام هذا الاتجاه في إطار دراسات الأنثروبولوجيين للمجتمعات البدائية البسيطة لتحقيق هدفين:

الهدف الأول: هو عقد مقارنات بين مجموعة من المجتمعات البدائية البسيطة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بين أنظمتها الاجتماعية، وإظهار أثر البيئة الطبيعية والثقافية في تحديد مستويات التشابه والاختلاف في هذه المجتمعات.

الهدف الثاني: هو عقد المقارنات بين المجتمعات البدائية البسيطة من جهة، والمجتمعات المعقدة المتطورة من جهة أخرى، من أجل تقديم فهم علمي لعملية تطور الثقافة الإنسانية ونظمها الاجتماعية من الأشكال البدائية إلى الأشكال المعقدة.

وإذا كانت دراسة (سيلجمان) عن القبائل النيلية الوثنية في السودان تمثل الهدف الأول للدراسات الأنثروبولوجية عن المجتمعات البدائية، فإن كتاب ((المجتمع القديم)) للأنثروبولوجي (لويس مورغان) يمثل الهدف الثاني.

وفيما اختلفت أهداف استخدام المنهج المقارن عند الأنثروبولوجيين، إلا أن الغاية المرجوة من استخدام هذا المنهج هو تقديم تعميم أو نظرية عامة من شأنها أن تفسر لنا الثقافة الإنسانية وكيفية تطورها.

والجدير بالذكر أن المنهج المقارن في الدراسات الأنثروبولوجية يعتمد بشكل عام على أساس فكرة التواتر: أي تكرار حدوث الظواهر الاجتماعية المتشابهة في مجتمعات مختلفة، وهذا معناه أن هدف الأنثروبولوجيين هو التوصل إلى قوانين

وتعميمات نظرية (كما ذكر مسبقاً) من شأنها أن تشرح لنا سبب حدوث الظواهر الاجتماعية، وذلك لأن مجرد تكرار حدوث الظاهرة في مجتمعات مختلفة والتي لم تخضع للتواصل التاريخي، يفرض على العقل القول بأن وراء هذا التواتر قانوناً عاماً يحكم عملية تكوين هذه الظاهرة وتطورها.

ثانياً- الاتجاه الأثنوغرافي؛

يقوم هذا المنهج على تقديم وصف دقيق ومنظم للجماعات الإنسانية وثقافتها ونظمها الاجتماعية، بما فيها أنظمة المعتقدات والزواج والقرابة والاقتصاد والسياسة والأسرة...إلخ.

ويركز الباحث الأثنوغرافي في دراسته على وصف مجتمع محدد، حيث يقدم لنا معلومات مكثفة عن طبيعة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية. وهذا معناه أن الباحث الأثنوغرافي لا يهدف في دراسته إلى تقديم مقارنات فيما بين المجتمعات الإنسانية المختلفة لإظهار الأوجه المشتركة وغير المشتركة فيما بينها، بل يقدم وصفاً خاصاً بهذه المجتمعات والتي من الممكن أن يستخدمها ضمن إطارها المقارن.

ويعود تاريخ الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) إلى فترة ما قبل عصر الميلاد، فقد كان المؤرخ الإغريقي (هيرودوت) هو أول من استخدم هذا المنهج في عام 500 ق.م، عندما درس قبائل روسيا ومجتمع مصر القديم، ثم تبعه بعد ذلك الشاعر اليوناني (لوقريطس) عام 550 ق.م، الذي قدم دراسة وصفية عن تطور الثقافة الإنسانية من حالتها البدائية حتى وصولها إلى حالة الارتقاء والتمدن.

كما يعد كتاب ((المقدمة)) للعلامة العربي (ابن خلدون) من أهم الدراسات الأثنوغرافية التي قدمت وصفاً علمياً ودقيقاً عن جماعات البدو وطبيعة نظمهم الاجتماعية وطرائق معيشتهم.

كذلك نذكر دراسة الرحالة (المسعودي) والتي ضمنها في كتاب عنوانه (مروج الذهب ومعدن الجواهر) ودراسة الرحالة (ابن بطوطة) التي ضمنها في كتاب ((تحفة الأنظار في عجائب الأسفار)).

وتعد هاتين الدراستين من أهم الدراسات الأثنوغرافية (الوصفية) التي منحتنا قدراً واسعاً من الفهم عن الثقافات الإنسانية المختلفة.

لقد شكلت هذه الدراسات الوصفية اللبنة الأولى في تكوين علم الأنثروبولوجيا، وقد استمر الأنثروبولوجيين في اعتماد المنهج الأثنوغرافي في دراساتهم حتى يومنا هذا.

وقد طور علماء الأنثروبولوجيا في مطلع القرن العشرين المنهج الأثنوغرافي وجعلوا له أساسيات لا بد من اتباعها عند إجراء الدراسات الأنثروبولوجية، ومن أهم هذه الأساسيات التي يقوم عليها المنهج الأثنوغرافي المعاصر هو أن تكون الدراسة قائمة على منهجية البحث الحقلية، والذي يقصد به شرط إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس لفترة زمنية محددة، ومعرفة لغة أفراد هذا المجتمع معرفة وافية، وتعود أهمية الإقامة ومعرفة لغة أفراد المجتمع المبحوث إلى أنه من غير الممكن تقديم وصفاً موضوعياً عن مجتمع الدراسة إن لم يكن الباحث قادراً على التواصل اللغوي مع أفراد هذا المجتمع، كما أن معرفة الباحث لطبيعة ثقافة المجتمع ونظمه الاجتماعية لا يمكن أن تتم من خلال المشاهدة العابرة، لهذا وجب على الباحث الأثنوغرافي الإقامة في المجتمع المدروس.

ونخلص مما سبق إلى أن الدراسة الأثنوغرافية تعتمد على الدراسة المركزة لمجتمع ما، لأنها تزود الباحث بكل العناصر الثقافية التي يقوم عليها مجتمع الدراسة.

ويعد الأنثروبولوجي البريطاني (راد كليف براون) من الرواد الأوائل الذين قاموا بدراسات حقلية أثنوغرافية وذلك من خلال دراسته لشعوب جزر

الاندمان (الواقعة في شمال المحيط الهادي) في الفترة ما بين 1906-1908.

أيضاً تعد دراسة (مالينوفسكي) عن شعوب جزر التروبرياندا (الواقعة شرق غينيا الجديدة) من أهم الدراسات الحقلية الأثنوغرافية. وقد قضى (مالينوفسكي) في دراسته هذه أربع سنوات (1914-1918)، حيث عايش التروبريانديين وعرف لغتهم المحلية معرفة تامة.

أيضاً من الدراسات الأنثروبولوجية الهامة التي طبقت هذا المنهج، دراسة (ايفانز برتشارد) لقبايل النوير السودانية في عام 1940، ودراسة (فورتيز) لقبايل التلاسي النيجيرية في عام 1945.

ولعل من أهم الصفات التي تتميز بها الدراسات الأثنوغرافية هو أنها تعتمد في وصفها على تقديم فهم شمولي/ كلي للمجتمع المدروس، فالعناصر الثقافية لا تدرس كل منها بمعزل عن الآخر، كما أن النظم الاجتماعية لا يمكن تفسير كل منها على حدة وبمعزل عن بقية النظم الأخرى. على العكس من ذلك نجد أن الثقافة بكافة عناصرها ونظمها الاجتماعية يتم دراستها دراسة متكاملة، وذلك بسبب ارتباط كل جزء منها بالآخر ارتباطاً وثيقاً. كما أن العلاقة بين الثقافة والمحيط البيئي (الايكولوجي) يجب أن تخضع للدراسة والتحليل، لأن الإنسان يؤثر ويتأثر ثقافياً بالمحيط الذي يعيش فيه. وتعتمد الدراسات الأثنوغرافية على عملية الملاحظة العلمية لثقافة وأنظمة المجتمع المدروس.

وللملاحظات الأثنوغرافية في الأنثروبولوجيا

نمطين أساسيين، هما:

1- **الملاحظة المباشرة:** تتم الملاحظة المباشرة عن طريق اندماج الباحث في المجتمع نفسه، حيث يقوم بمخالطة أفراد هذا المجتمع

ومجالستهم لكي يتعلم لغتهم ويتعرف على طبيعة حياتهم الاجتماعية وسلوكياتهم الثقافية. والحقيقة أن هذا النوع من الملاحظة يمنح الباحث القدرة الكافية على دراسة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية، ومن ثم تقديم وصف علمي متكامل عن هذا المجتمع.

وقد اعتمد على الملاحظة المباشرة العديد من مؤسسي الأنثروبولوجيا، أمثال (راد كليف براون، بريتشارد، مالاينوفسكي، فرانز بواز، بندكيت، مارجريت ميد) وغيرهم من الأنثروبولوجيين الذين اعتمدوا على اندماجهم بالمجتمع المدروس واستخدام وسيلة الملاحظة المباشرة في دراساتهم.

2- الملاحظة غير المباشرة: تتم هذه الملاحظة من خلال الرجوع إلى مصادر أخرى للحصول على المعلومات الأثنوغرافية، وذلك عن طريق الاعتماد على آراء ومؤلفات العلماء والباحثين ممن سبق لهم إجراء دراسات مجتمعات إنسانية محددة، أو الاعتماد على ملاحظات ومشاهدات الغير من الرحالة والمسافرين. أي اعتماد الباحث على المصادر والوثائق والروايات التي تتعلق بموضوع الدراسة.

ومن الذين استخدموا وسيلة الملاحظة غير المباشرة، نذكر: (ادوارد تايلور ولويس هنري مورجان) اللذان قدما وصفاً أثنوغرافياً للمجتمعات المدروسة في مجلدات ضخمة من واقع ما حصلوا عليه من وثائق وسجلات وآراء ووثائق مكتوبة.

ثالثاً- الاتجاه التجريبي:

ظهر هذا الاتجاه كردة فعل على النظريات التي ظهرت بالقرن التاسع عشر، والتي صنفت الجماعات البشرية وفق تفرقة عنصرية بحتة. ففي تلك الفترة ظهرت العديد من الكتابات التي تقول بامتياز عرق على آخر أو صفاء جنس بشري على آخر، على سبيل المثال، هناك كتابات قالت بأن الجنس الأوربي الأبيض أكثر حضارة وذكاء من بقية الشعوب الأخرى.

وحتى يتم دحض هذه الآراء العنصرية، لجأ العديد من الأنثروبولوجيين إلى استخدام المنهج التجريبي، الذي يقوم على اختبارات علمية دقيقة للتحقق مما إذا كانت هناك فوارق جوهرية في الصفات العقلية والنفسية والمزاجية (وراثية أو مكتسبة) يمتاز بها جنس بشري عن جنس آخر. وقد انتهت هذه البحوث التجريبية إلى تأكيد أنه لا توجد أية فوارق في الذكاء أو المشاعر بين جنس وآخر، وأن الفروق وإن وجدت فهي ليست إلا انعكاسات للبيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وهذا معناه أن هذه الفروقات لا تتصل مطلقاً بعوامل بيولوجية أو وراثية، إنما ترد إلى محددات اجتماعية وثقافية بيئية.

ومن أشهر الدراسات التجريبية في الأنثروبولوجيا هي الدراسة التي قامت بها عالمة (روث بندكت) والتي بينت ما يسمى بنسبية الأنماط الثقافية في المجتمعات البشرية، وتعلل (بندكت) هذه النسبية الثقافية بالدور الذي تلعبه البيئة الجغرافية والاجتماعية والأسرية في تشكيل سلوكيات الأفراد واختلاف هذه السلوكيات من مجتمع إلى آخر، ولكي تؤكد صحة ما توصلت إليه، قامت بدراسة قبيلتين (الزوني والكوكيوتل) من قبائل الهنود الحمر لمعرفة أنماط السلوك المتبعة عند هاتين القبيلتين، وفيما إذا كانتا تتشابهان أو تختلفان في تلك الأنماط السلوكية.

وقد توصلت (بندكت) في دراستها هذه إلى أنه بينما يتميز أفراد قبيلة الزوني بالهدوء والتآلف، فإن أفراد قبيلة الكوكيوتل يمتازون بالانعزالية والتطرف والتنافس.

وقد أرجعت (بندكت) هذه الفروق في أنماط السلوك لدى هاتين القبيلتين إلى التأثير بالنماذج الثقافية العامة المتبعة في كل قبيلة، واختلاف وسائل التربية تبعاً لاختلاف تلك المناهج.

والجدير بالذكر أن الاتجاه التجريبي ارتبط بشكل كبير بالاتجاه المقارن، فالمقارنة التجريبية كانت الأساس في هذه الاتجاه.

الأدوات (الوسائل) البحثية في مجال الأنثروبولوجيا

الثقافية

الأداة: تستلزم عملية جمع البيانات الميدانية من الباحث تحديد الأداة/ الأدوات المناسبة لجمع هذه البيانات، حيث بإمكان الباحث اعتماد أداة أو أكثر في عملية جمع البيانات الميدانية، ويتم تحديد هذه الأداة/ الأدوات المناسبة بناءً على طبيعة الموضوع المدروس والبيانات المراد الحصول عليها.

ومن الأدوات البحثية التي تعتمد في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية، نذكر الآتي:

أولاً- الملاحظة بالمشاركة:

الملاحظة: من أساليب التقويم وجمع البيانات، حيث يمكن من خلال استخدامها - وفق الضوابط المحددة لها - الحصول على مجموعة من المعلومات والبيانات التي يصعب الحصول عليها من خلال استخدام أسلوب آخر . والملاحظة هي المشاهدة والمتابعة المرئية الدقيقة للسلوك أو الظاهرة أثناء الأداء الفعلي في المواقف الطبيعية، وتسجيل ما يراه الملاحظ وفق نظام دقيق ومحدد يُعبر عن السلوك أو الظاهرة المدروسة.

وللملاحظة أنواع نذكر منها:

- الملاحظة العفوية.
- الملاحظة العلمية.
- الملاحظة الحقلية.

- الملاحظة المخبرية.

- الملاحظة بالمشاركة.

- الملاحظة من دون مشاركة.

وفيما يتعلق بالملاحظة بالمشاركة فإن بداياتها تنسب إلى المفكر

البولوني

Bronisław Kasper Malinowski

الذي اشتهر بتنظيم ممارسة الأنثروبولوجيا الميدانية انطلاقاً من قناعاته بأن عمل الأنثروبولوجي يجب أن يركز على الواقع المحلي للمجتمع المدروس و خصوصياته الثقافية بدل الاكتفاء بأعمال الرحالة والفلاسفة وغيرهم .

وتقتضي أداة الملاحظة بالمشاركة إقامة الباحث بين أفراد المجتمع المدروس ومعايشة حياتهم اليومية عن كثب، الأمر الذي يتطلب من الباحث تعلم لغة أفراد المجتمع المدروس لكي يتواصل معهم بسهولة ويسر ويتضح له عادات وتقاليد هذا المجتمع، وبذلك فقط يستطيع أن يجمع المعطيات عبر ملاحظة الممارسات بشكل مباشر.

وفي مسألة اللغة فقد قضى (مالينوفسكي) رائد العمل الحقل في مجال الأنثروبولوجيا ما يقارب من عام كامل لتعلم لغة المجتمع الذي أراد دراسته والمتمثل بمجتمع ((جزر التبرياندا)).

ولعل هناك أسباب متعددة تدفع الباحث إلى استخدامه لأداة الملاحظة بالمشاركة والتي اعتمدت عليها الأنثروبولوجيا في بداية تاريخها. ومن هذه الأسباب نذكر الآتي:

■ تمكننا من جمع قدر كبير من البيانات والمعلومات عن عادات وتقاليد المجتمع، والتي لا يمكن الحصول عليها من خلال أدوات أخرى. أي تمكننا من فهم ثقافة المجتمع المدروس.

■ تسهم بشكل كبير من التخفيف من حدة التفاعل مع المبحوثين.

- تساعد على تصميم أدوات بحثية أخرى كالاستبانة والمقاييس.
- بينت لنا العديد من الدراسات انه تم كشف معلومات رئيسية وهامة عن حياة مجتمعات وطرق حياتهم من خلال استخدام أداة الملاحظة بالمشاركة. ولا بد من الإشارة إلى أنه يجب على الباحث أن يتجنب اتباع السلوكيات التي تعلمها في مجتمعه والتي قد تختلف عن سلوكيات أفراد المجتمع الذي يدرسه، كما عليه عدم انتقاد سلوكيات هؤلاء الأفراد أو محاولة تغيير عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم بل لابد أن يقابلهم ويتحدث معهم وكأنه فرد منهم. كما على الباحث مشاركتهم حفلاتهم وطعامهم وارتداء ملابسهم وعدم الاستنكار مما قد يرى.
- وبقدر ما يستطيع الباحث أن يكتسب ثقة أفراد المجتمع الذي يدرسه، كلما كان قادراً على جمع المعلومات المهمة عن طبيعة ثقافة هذا المجتمع ونظمه الاجتماعية المتعددة.
- ومن أهم الإجراءات التي يجب على الباحث اتباعها أثناء تطبيق أداة الملاحظة بالمشاركة، هي عملية كتابة ((التقارير الفورية)) عن كل صغيرة وكبيرة تقابله في مجتمع الدراسة، سواء في أسلوب المعيشة أو نمط السلوك أو شكل الحكم أو ظواهر المعتقد أو الاقتصاد أو طريقة التفكير...إلخ. هذه التقارير الفورية تعكس الملاحظات اليومية للباحث والتي يراها في المجتمع المدروس.
- وتعود أهمية تدوين هذه الملاحظات اليومية إلى أنها تقودنا في النهاية إلى فهم هذا المجتمع فهماً شاملاً.

ثانياً- الإخباريين:

يمكن القول بأنها المقابلة غير الموجهة التي تتم مع ما يسمى بالإخباري الذي هو ذلك الشخص الذي يقوم بتزويد الباحث بالمعلومات المطلوبة عن المجتمع المدروس، ولديه من المعلومات التي يمكن أن تحقق هدف الدراسة

وتسهم في اتجاهها، حيث تتم أخذ المعلومات من الإخباري عن طريق المقابلة غير الموجهة في كثير من الأحيان.

أما بالنسبة لنوعية الإخباريين الذين يجب على الباحث أن يختارهم، فهم دائماً ما يكونون من ذوي المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الدينية في المجتمع المدروس، كما يجب أن يكونوا من كبار السن، وهذا معناه أن يكون الإخباري من الأشخاص الذين يستفيد الباحث منهم في جمع المعلومات الهامة عن البناء الثقافي والاجتماعي لمجتمع الدراسة.

ووفقاً لهذه الأداة يتم اختيار الباحث لمجموعة من أفراد المجتمع المدروس وإجراء مقابلات مطولة معهم، ويقوم بتوجيه أسئلة متنوعة لهؤلاء الأفراد تاركاً الفرصة لهم ليقدموا الإجابة المسترسلة عن تلك الأسئلة، حيث لا يتدخل الباحث مطلقاً في توجيه إجابات الإخباريين، بمعنى آخر: لا يتدخل الباحث في توجيه إجاباتهم للغايات التي هو يبحث عنها.

فمثلاً قد يسأل الباحث أحد الإخباريين عن مفهوم الزواج بصورة عامة، ثم يترك للإخباري الاسترسال في الحديث عن الزواج ومفاهيمه وأهميته في المجتمع الذي ينتمي إليه.

ويمكن وصف المقابلة غير الموجهة للإخباريين على أنها نوع من الحديث العام عن الواهر الاجتماعية والسلوكيات العامة المتواجدة في المجتمع، إلا أن ميزة هذا الحديث العام بأنه لا يكون بين طرفين متساويين، بل إنه بين طرف يعرف ويفهم ما يدور في المجتمع (الإخباري)، وطرف محايد يحاول من خلال عملية السؤال والاستماع أن يفهم ما يدور في هذا المجتمع (الباحث).

ويجب على الباحث أن يكون على استعداد تام أثناء المقابلة لكي تتسنى له تسجيل وتدوين المعلومات التي يذكرها له الإخباري. ومن أهم الوسائل التي يتم استخدامها لتدوين تلك المعلومات هي آلة التسجيل والتي تضمن حفظ المعلومات التي تم الحصول عليها من الإخباري.

ثالثاً- المقابلة:

المقابلة هي محادثة تتم بين الباحث والمبحوث أو المبحوثين في زمان ومكان معينين، بهدف الحصول على المعلومات من خلال التبادل اللفظي الحاصل بين طرفي المقابلة، ومن خلال ملاحظات الباحث لانفعالات المبحوث وحركاته التعبيرية يمكن أن يستشف الباحث معطيات قد لا يفصح عنها المبحوث باستجابته اللفظية.

◀ والمقابلة أنواع نذكر منها:

- المقابلة الفردية.
- المقابلة الثنائية.
- المقابلة الجماعية.
- المقابلة الموجهة.
- المقابلة غير الموجهة...إلخ.

وقد تمت الإشارة مسبقاً إلى ان الباحث الأنثروبولوجي يعتمد على الإخباريين عن طريق مقابلتهم، ففي كثير من الأحيان يلجأ الباحث إلى استخدام أسلوب المقابلة مع أفراد المجتمع. وقد يستخدم الباحث الأنثروبولوجي أداة المقابلة الموجهة مع الإخباريين، كذلك قد يستخدم المقابلة غير الموجهة.

وإذا كانت المقابلة غير الموجهة هي الطريقة التي تتم تلقائياً بين الباحث وبعض أفراد المجتمع المبحوث الذين تترك لهم فرصة الإجابة المسترسلة على مختلف الأسئلة، فإن طريقة المقابلة الموجهة تتمثل في إعداد استمارة عبارة عن مجموعة من الأسئلة تتم صياغتها بدقة حول موضوع البحث المراد دراسته، بحيث تشتمل على الإجابات المحتملة بطريقة تسمح للمبحوث الإجابة عن الأسئلة بسرعة ووضوح، ثم تفرغ هذه الإجابات ضمن جداول.

وعلى الباحث أن يقرأ الأسئلة أمام الشخص المراد مقابلته ثم يسجل إجابته في الاستمارة، وينبغي أن تقرأ الأسئلة من قبل الباحث بطريقة محايدة بحيث لا

تؤثر على المستمع.

وتبرز أهمية المقابلة من حيث أنها قادرة على فحص التأثير الانفعالي للمبحوث كما ذكر أعلاه، والكشف عن تعبيراته وكذلك يمكن من خلالها أن تنشأ علاقة ود ومودة بين الباحث والمبحوث، بالإضافة إلى أنها قادرة على الكشف عن صدق المعلومات التي يمكن الحصول على من قبل المبحوث، ولاشك أن ذلك يرتبط بشكل كبير بمهارة الباحث وقدراته.

← وكنموذج للأسئلة التي يتم طرحها في المقابلة الموجهة نذكر

المثال الآتي:

لنفترض أن الباحث يريد أن يعرف طبيعة العلاقة بين الزوجين في المجتمع المدروس، من الممكن تحقيق هذا الهدف مثلاً من خلال طرح السؤال التالي: هل تشارك زوجتك في اتخاذ القرارات ، ويتم وضع عدة إجابات مثل: نعم لا أحياناً، ويترك للمبحوث حرية اختيار أحد هذه الاحتمالات. وهذا النمط من الأسئلة يسمى بالأسئلة المغلقة، لكن يمكن أن تتضمن المقابلة الموجهة النمط الثاني من الأسئلة وهو الأسئلة المفتوحة هي التي تسمح للمبحوث أن يتحدث ويعبر عن رأيه، مثل سؤاله عن رأيه في قضية ما أو اقتراحه في مسألة محددة وغيرها.

رابعاً- تاريخ الحياة:

كثيراً ما يستخدم الأنثروبولوجيين طريقة تاريخ الحياة أثناء دراستهم الميدانية بقصد جمع العديد من المعلومات الأثنوغرافية عن المجتمع المدروس. وهي عبار عن عرض للسيرة الذاتية وتاريخ الحياة.

وتقوم هذه الطريقة على اختيار الباحث لشخصية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية او دينية، ويطلب منه أن يقص عليه سيرة حياته وما صادفها من أحداث منذ الصغر وحتى تاريخ اللحظة التي يحادثه فيها. وغاية الباحث هنا ليست قصة حياة الفرد كما تروى، بل ما يهيمه هنا هو استقرار العلاقة

الاجتماعية والأحداث التاريخية والعناصر الثقافية والمعتقدات الدينية التي تشكل المجتمع وتحدد تطوره.

⇨ وينقسم تاريخ الحياة إلى نوعين:

1- أوتوبيوغرافي: وهو الذي يعتمد على سرد المبحوث لسيرته الذاتية وحياته بنفسه دون تدخل الباحث.

2- البيوجرافي: وهنا يتدخل الباحث في توجيه مسار حديث المبحوث وتحديد مسار حياته بما يرتبط بموضوع بحثه وما يريد الباحث الوصول إليه.

وحتى يتمكن الباحث من التحقق من صحة المعلومات التي يذكرها شخص ما في سيرته الذاتية، فإن عليه أيضاً أن يعتمد على سير ذاتية لأشخاص آخرين، ومن ثم استخدام طريقة المقارنة فيما بين هذه السير الذاتية للوصول إلى معلومات لها صفة العمومية والموضوعية، حيث من خلال المقارنة يمكن تقديم وصف عام للثقافة، وتحديد المعلومات ومدى دقتها.

خامساً- استخدام الوثائق

كذلك يعتمد الباحث الأنثروبولوجي في بحثه على استخدام الوثائق بهدف الحصول على المعلومات التي يحتاجها.

⇨ وهناك نوعان من الوثائق، هما:

- الوثائق المكتوبة: التي تتوافر في المجتمعات التي تعرف الكتابة والقراءة.

- الوثائق الشفهية: وهي التي يتم تناقلها عن طريق القصص والأشعار الشفاهية، ويتم الاعتماد عليها في المجتمعات الأمية.

وميزة هذين النوعين من الوثائق هو أنهما يمنحان الباحث العديد من المعلومات التي قد لا يستطيع جمعها عن طريق المقابلات، كما أن هذه الوثائق قد تنبه الباحث على جوانب اجتماعية أخرى لم يلحظها من قبل في مجتمع الدراسة.

سادساً- الطريقة الجينالوجية:

وتسمى أيضاً بطريقة تتبع النسب، حيث يحاول الباحث من خلالها الاعتماد على أحد الإخباريين في المجتمع وتتبع العلاقات الخاصة به مع سائر الأفراد المرتبطين به قرابياً ويقوم بتسجيل العديد من المعلومات عن هؤلاء من أسماء وتاريخ ميلاد وزواج وطلاق ووفاة وإقامة وروابط زواجية والعمل... إلخ من البيانات التي ترتبط بموضوع الدراسة. ويقوم الباحث في النهاية بتفريغ هذه البيانات لفهم العلاقات السائدة في مجتمع الدراسة بعد أن يضعها بتخطيط هندسي حتى يفهم شبكة العلاقات السائدة، ويتم وفقاً لهذه الطريقة تضمين أكبر قدر من المعلومات عن الأفراد وتتبع الأجيال، فيكشف الباحث من خلالها قضايا خاصة بالزواج والهجرة والعلاقات بين الأفراد ونظام الوراثة وغيرها من العلاقات.